إمكانيات إصلاح اللغة العربية لتوازي لغات الحضارة الحديثة

للأستاذ محمد تازروت

تفضل جناب الاستاذ محمد تازروت وهو معروف خصوصا بتاليفه « فى مؤتمر المتحضرين » الذي أصدره سنة 1954 فى خمسة أجزاء — فبعث الينا بجواب عن الاستفتاء نختصر فيما يلى أهم الافكار التى انطوت عليه (تجدون نصه الكامل بالفرنسية فى مكان آخر) :

فقد أجاب عن السؤال المطروح فى موضوع ارتباط انتشار الاسلام بانتشار اللغة العربية قائلا : ان العلاقات بينهما أمر بديهي لا يقبل الجدال وقد تجلى ذلك فى تاريخ الخلافات والسلطنات والمملكات والجمهوريات الاسلامية ، وهو يرى ان هذا الارتباط قد يكون توضيحه أبلغ بمقارنة مستوعبة بين عقيدة التوحيدالتي اختص بها اليهود والمسيحيون والمسلمون وبين مذهب ما بعد الطبيعة الذي تشبث به الصينيون والهنود وقدماء اليونان والرومان وذلك ما حاول أن يبنيه فى مؤلفه المشار اليه

ومن آراء الاستاذ أيضا أن التوراة والانجيل والقرآن لا تختلف فى جوهرها لان كلا من هذه الكتب أنزل بلغة كان وجودهاسابقا للوحي الذي أصبح عاملا لنشرها ولاكتسائها صبغتها الكلاسيكية .

ولئن تعددت الروايات فيما يخص التوراة والانجيل عند أهل الكتاب لاسباب أهمها التخلص من العاطفية الوثنية والرجوع الى العقل والعداوة بين النصارى واليهود ، فالقرآن لم تشبه شائبة منذ ان اثبتت روايته الاصلية فى عهد الخليفة عثمان .

ثم ان الاستاذ يعبر عن عدم اقتناعه بفكرة مسايرة انتشار اللغة العربية لازدهار او انحطاط الحضارة الاسلامية مدعما وجهة نظره بمثال الاتراك السلاجقة والعثمانيين الذين ءامنوا كما آمن الذين جاءوا من قبلهم بل وفاقوا الفاتحين الاولين لبلاد الفرس والرومان بما ظهر من التعمق والجمال فى أدبهم فأصبحت لغة الاسلام تشيع مع الفتوحات وتفرض نفسها فى قيام الصلوات وفى باقي الشعائر الدينية الى أن انهزمت الامبراطورية التركية فى أوربا وتسلط الاستعمار على المسلمين فى آسيا وافريقيا فحال بينهم وبين النهوض كما وقع ذلك فى عهد الخديوى محمد علي . اذ ذاك دخلت العربية فى طور بدأت تفقد فيه طابعها التقليدي وشخصيتها الادبية .

وفيما يتعلق بمدى تأثير الفكر الاسلامي عن طريقة لغة القرآن فى اللهجات أو اللغات الاقليمية .. يعتقد الاستاذ تازروت ان تلك اللهجات تكاثرت واختلفت بسبب الصعوبات الناتجة عن الصرف وتعدد المترادفات والاضداد وقلة الحروف الملحقة بأواخر الكلمات وعدم وجودالمعاجم الابجدية . واما اللهجاتالتي ليس لها أصل عربي كالبربرية فانها أصبحت تستمد الالفاظ الكثيرة من لغة الاسلام وتحرفها تحريفا زادت خطورته بسبب عدم وجود كتابة خاصة بها من شأنها ان تلقي اضواء على تفهم تلك الالفاظ ان لم تكن سببا لمنافستها .

ولكي تحتل العربية المكانة اللائقة بها بين سائر اللغات الاجنبية يرى الاستاذ انها محتاجة الى اصلاحين : اصلاح لغوى مستعجل يرمي الى تعويض المعاجم الاشتقاقية بمعجم ابجدي ، واصلاح يتعلق بالقواعد يهدف الى وضع كتاب شامل فى النحو يفي بكل ما يحتاج اليه تعليم النطق وضبط الكتابة والاشتقاق والصرف والتركيب مع تعداد الحروف الزائدة فى اوائل واواخر الكلمات وربطها بالمترادفات والاضداد — التي توجد بكثرة — حتى يتاتى التعبير بكل دقة عن جميع مفاهيم الحضارة العصرية .

وقد لاحظ الاستاذ فى هذا الصدد أن الازدواجية لا تجدي نفعا لان معظم المسلمين لا مناص لهم من تراثهم اللغوي والادبي واللجوء الى غيرها مصيره الفشل الذريع .

ويختم الاستاذ بحثه فيؤكد فيما يخص تاثير اللهجات المحلية على العربية ان لغة القرآن هى التي كانت وما زالت تسيطر وتؤثر على غيرها بحكم العقيدة والدين .